

الفصل في الملل والأهواء والنحل

قال أبو محمد وهذا لا حجة لهم فيه لأن نوحا عليه السلام تاول وعد الله تعالى أن يخلصه وأهله فظن أن ابنه من أهله على ظاهر القرابة وهذا لو فعله أحد لكان مأجورا ولم يسأل نوح تخليص من أيقن أنه ليس من أهله فتفرع على ذلك نهى عن أن يكون من الجاهلين فتندم عليه السلام من ذلك ونزع وليس ها هنا عمد للمعصية البتة وبالله تعالى التوفيق .
الكلام في إبراهيم عليه السلام .

قال أبو محمد ذكروا ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن إبراهيم عليه السلام كذب ثلاث كذبات وأنه قال إذ نظر في النجوم أني سقيم ويقول في الكواكب والشمس والقمر وهذا ربي بقوله في سارة هذه أختي ويقول في الأصنام إذ كسرهما بل فعله كبيرهم هذا وبطلبه إذ طلب رؤية إحياء الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي .

قال أبو محمد وهذا كله ليس على ما ظنوه بل هو حجة لنا والحمد لله رب العالمين أما الحديث أنه عليه السلام كذب ثلاث كذبات فليس كل كذب معصية بل منه ما يكون طاعة لله وفرضا واجبا يعصى من تركه صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيرا وقد أباح عليه السلام كذب الرجل لامرأته فيما يستجلب به مودتها وكذلك الكذب في الحرب وقد أجمع أهل الاسلام على أن انسانا لو سمع مظلوما قد ظلمه سلطان وطلبه ليقنته بغير حق ويأخذ ماله غصبا فاستتر عنده وسمعه يدعو على من ظلمه قاصدا بذلك السلطان بذلك السامع عما سمعه منه وعن موضعه فإنه إن كتم ما سمع وأنكر أن يكون سمعه أو أنه يعرف موضعه أو موضع ماله فإنه محسن مأجور مطيع لله تعالى وأنه أن صدقه فأخبره بما سمعه منه وبموضعه وموضع ماله كان فاسقا عاصيا لله تعالى فاعل كبيرة مذموما تماما وقد أبيض الكذب في إظهار الكفر في التقية وكل ما روى عن إبراهيم عليه السلام في تلك الكذبات فهو داخل في الصفة المحمودة لا في الكذب الذي نهى عنه وأما عن قوله عن سارة هي أختي فصدق هي أخته من وجهين قال الله تعالى إنما المؤمنون أخوة وقال عليه السلام لا يخطب أحدكم على خطبة أخيه والوجه الثاني القرابة وأنها من قومه ومن مستجيبه قال D وإلى مدين أخاهم شعيبا فمن عد هذا كذبا مذموما من إبراهيم عليه السلام فليسعه كذبا من ربه D وهذا كفر مجرد فصح أنه عليه السلام صادق في قوله سارة أخته وأما قوله فنظر نظرة في النجوم فقال إنني سقيم فليس هذا كذبا ولسنا ننكر أن تكون النجوم دلائل على الصحة والمرض وبعض ما يحدث في العالم كدلالة البرق على نغول البحر وكدلالة الرعد على تولد الكمامة وكتولد المد والجزر على طلوع القمر وغروبه وأعدار وارتفاعه وامتلائه ونقصه وإنما المنكر قول من قال أن الكواكب هي الفاعلة المدبرة لذلك

دون اﻟﻌﺎﻟﻰ أو مشتركة معه فهذا كفر من فائله وأما قوله عليه السلام بل فعله كبيرهم هذا فإنما هو تقرير لهم وتوبيخ كما قال تعالى ذق نك أنت العزيز الكريم وهو في الحقيقة مهان ذليل معذب في النار فكلا القولين توبيخ لمن قباله على طنهم أن الأصنام تفعل الخير والشر وعلى طن المعذب في نفسه في الدنيا أنه عزيز كريم ولم يقل إبراهيم هذا على أنه محقق لأن كبيرهم فعله إذا كذب إنما هو الأخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه قصد إلى تحقيق ذلك وأما قوله عليه السلام إذ رأى الشمس والقمر هذا ربي فقال قوم أن إبراهيم عليه السلام